وقد جعلهم عم في هذا الفصل اربعة اقسام القسم الاول ارباب العبادة فمنهم من هو ساجد ابدا لم يقم من سجوده ليركع ومنهم من هو راكع ابدا لم ينتصب قط ومنهم الصافون في الصلوة بين يدي خالقهم لا يتزايلون ومنهم المسبحون الذين لا يملون التسبيح والتحميد له سبحانه القسم الثاني السفراء بينه تع وبين المكلفين من البشر بتحمل الوحي الالهي الى الرسل والمختلفون بقضائه وامره الى اهل الارض والقسم الثالث ضربان احدهما حفظة العباد كالكرام الكاتبين وكالملئكة الذين يحفظون البشر من المهالك والورطات ولولا ذلك لكان العطب اكثر من السلامة وثانيهما سدنة الجنان والقسم الرابع حملة العرش ويجب ان يكون الضمير في دونه وهو الهاء راجعا الى العرش لا الى الباري سبحانه وكذلك الهاء في قوله تحته ويجب ان يكون الاشارة بقوله وبين من دونهم الى الملئكة الذين دون هؤلاء الاربعة في المرتبة فاما الفاظ الفصل فكلها غنية عن التفسير الا يسيرا كالسدنة جمع سادن وهو الخادم والمارق الخارج وتلفعت بالثوب اي التحفت به فاما القطب الراوندي فجعل الامناء على الوحي وحفظة العباد وسدنة الجنان قسما واحدا فاعاد الاقسام الاربعة الى ثلثة وليس بجيد لانه قال ومنهم الحفظة فلفظة ومنهم يقتضي كون الاقسام اربعة لانه بها فصل بين الاقسام وقال ايض معنى قوله عم لا يغشاهم نوم العيون يقتضي ان لهم نوما قليلا لا يغفلهم عن ذكر الله سبحانه فاما الباري سبحانه فانه لا تاخذه سنة ولا نوم اصلا مع انه حي وهذه هي المدحة العظمى ولقائل ان يقول لو ناموا قليلا لكانوا زمان ذلك النوم وان قل غافلين عن ذكر الله سبحانه لان الجمع بين النوم وبين الذكر مستحيل والصحيح ان الملك لا يجوز عليه النوم كما لا يجوز عليه الاكل والشرب لان النوم من توابع المزاج والملك لا مزاج له فاما مدح الباري بانه لا تاخذه سنة ولا نوم فخارج عن هذا الباب لانه تع يستحيل عليه النوم استحالة ذاتية لا يجوز تبدلها والملك يجوز ان يخرج عن كونه ملكا بان يخلق في اجزاء جسمه رطوبة ويبوسة وحرارة وبرودة يحصل من اجتماعها مزاج ويتبع ذلك المزاج النوم فاستحالة النوم عليه انما هي ما دام ملكا فهو كقولك الماء بارد اي ما دام ماء لانه يمكن ان يستحيل هواء ثم نارا فلا يكون باردا لانه ليس حينئذ ماء والباري جلت عظمته يستحيل على ذاته ان يتغير فاستحالة عليه النوم استحالة مطلقة مع انه حي ومن هذا الثناء التمدح وروى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله ان الله تعالى خلق الخلق اربعة اصناف الملائكة والشياطين والجن والانس ثم جعل هؤلاء العشرة عشرة اجزاء فتسعة منها الشياطين وجزء واحد الانس وفي الحديث الصحيح ان الملائكة كانت تصافح عمران بن الحصين وتزوره ثم افتقدها فقال يا رسول الله ان رجالا كانوا ياتونني لم ار احسن وجوها ولا اطيب ارواحا منهم ثم انقطعوا فقال عم اصابك جرح فكنت تكتمه فقال اجل قال ثم اظهرته قال اجل قال اما لو اقمت على كتمانه لزارتك الملائكة الى ان تموت وكان هذا الجرح اصابه في سبيل الله تعم وقال سعيد بن المسيب وغيره الملائكة ليسوا بذكور ولا اناث ولا يتوالدون ولا ياكلون ولا يشربون والجن يتوالدون وفيهم ذكور واناث ويموتون والشياطين ذكور واناث ويتوالدون ولا يموتون حتى يموت ابليس وقال النبي صلى الله عليه وآله في رواية ابي ذر اني ارى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون اطت السماء وحق لها ان تئط فما فيها موضع شبر الا وفيه ملك قائم او راكع او ساجد واضع جبهته لله والله لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم الى الفلوات تجارون الى الله والله لوددت اني كنت شجرة تعضد قلت ويوشك هذه الكلمة الاخيرة ان تكون قول ابي ذر واتفق اهل الكتب على ان رؤساء الملئكة واعيانهم اربعة جبرئيل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وهو ملك الموت وقالوا ان اسرافيل صاحب الصور واليه النفخة وان ميكائيل صاحب النبات والمطر وان عزرائيل على ارواح الحيوانات وان جبرئيل على جنود السموات والارض كلها واليه تدبير الرياح وهو ينزل اليهم كلهم بما يؤمرون به وروى انس بن مالك انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله من هؤلاء الذين استثنى في قوله تعالى فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله تعالى جبرئيل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل فيقول الله عز وجل لعزرائيل يا ملك الموت من بقي وهو سبحانه اعلم فيقول سبحانك ربي ذا الجلال والاكرام بقي جبرئيل وميكائيل واسرافيل وملك الموت فيقول يا ملك الموت خذ نفس اسرافيل فيقع في صورته التي خلق عليها كاعظم ما يكون من الاطواد ثم يقول وهو اعلم من بقي يا ملك الموت فيقول سبحانك ربي ذا الجلال والاكرام جبرئيل وميكائيل وملك الموت فيقول خذ نفس ميكائيل فيقع في صورته التي خلق عليها وهي اعظم من خلق اسرافيل باضعاف مضاعفة ثم يقول سبحانه يا ملك الموت من بقي فيقول سبحانك ربي ذا الجلال والاكرام جبرئيل وملك الموت فيقول تعم يا ملك الموت مت فيموت ويبقى جبرئيل وهو من الله تعم

القائم

بالمكان الذي ذكر لكم فيقول الله يا جبرئيل انه لا بد من ان يموت احدنا فيقع جبرئيل ساجدا يخفق بجناحيه يقول سبحانك ربي بحمدك انت الدائم الباقي الذي لا يموت وجبرئيل الهالك الميت الفاني فيقبض الله روحه فيقع على ميكائيل واسرافيل ان فضل خلقه على خلقهما كفضل الطود العظيم على الظرب من الظراب وفي الاحاديث الصحيحة ان جبرئيل كان ياتي رسول الله صلى الله عليه وآله في صورة دحية الكلبي وانه كان يوم بدر على فرس اسمه حيزوم وانه سمع ذلك اليوم صوته اقدم حيزوم والكروبيون عند اهل الملة سادة الملائكة كجبرئيل وميكائيل وعند الفلاسفة ان سادة الملائكة هم الروحانيون يعنون العقول الفعالة وهي المفارقة للعالم الجسماني المسلوبة التعلق به لا بالحلول ولا بالتدبير واما الكروبيون فدون الروحانيين في المرتبة وهي انفس الافلاك المدبرة لها الجارية منها مجرى نفوسنا مع اجسامنا ثم هي على قسمين قسم اشرف واعلى من القسم الاخر فالقسم الاشرف ما كان نفسا ناطقة غير حالة في جرم الفلك كانفسنا بالنسبة الى ابداننا والقسم الثاني ما كان حالا في جرم الفلك ويجري ذلك مجرى القوى التي في ابداننا كالحس المشترك والقوة الباصرة الاصل منها في صفة خلق ادم عم ثم جمع سبحانه من حزن الارض وسهلها وعذبها وسبخها تربة سنها بالماء حتى خلصت ولاطها بالبلة حتى لزبت فجبل منها صورة ذات احناء ووصول واعضاء وفصول اجمدها حتى استمسكت واصلدها حتى صلصلت لوقت معدود واجل معلوم ثم نفخ فيها من روحه فمثلت انسانا ذا اذهان يجيلها وفكر يتصرف بها وجوارح يختدمها وادوات يقلبها ومعرفة يفرق بها بين الحق والباطل والاذواق والمشام والالوان والاجناس معجونا بطينة الالوان المختلفة والاشباه المؤتلفة والاضداد المتعادية والاخلاط المتباينة من الحر والبرد والبلة والجمود والمساءة والسرور واستادى الله سبحانه الملائكة وديعته لديهم وعهد وصيته اليهم في الاذعان بالسجود له والخضوع لتكرمته فقال سبحانه اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس وقبيله اعترتهم الحمية وغلبت عليهم الشقوة وتعززوا بخلقة النار واستوهنوا خلق الصلصال فاعطاه الله النظرة استحقاقا للسخطة واستتماما للبلية وانجازا للعدة فقال انك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم الشرح الحزن ما غلظ من الارض وسبخها ما ملح منها و سنها بالماء اي ملسها قال ثم خاصرتها الى القبة الخضراء تمشي في مرمر مسنون اي مملس ولاطها في قولهم لطت الحوض بالطين اي ملطته وطينته والبلة بفتح الباء من البلل ولزب بفتح الزاي اي التصق وثبت فجبل منها اي خلق والاحناء الجوانب جمع حنو واصلدها اي جعلها صلدا اي صلبا متينا وصلصلت يبست وهو الصلصال ويختدمها يجعلها في ماربه واوطاره كالخدم الذين يستعملهم ويستخدمهم واستادى الملائكة وديعته طلب منهم اداءها والخضوع الخضوع والشقوة بكسر الشين وفي الكتاب العزيز ربنا غلبت علينا شقوتنا واستوهنوا عدوه واهنا ضعيفا والنظرة بفتح النون وكسر الظاء الامهال والتاخير فاما معاني الفصل وفيه مع ذلك مباحث منها ان يقال اللام في قوله لوقت معدود بماذا يتعلق والجواب انها تتعلق بمحذوف تقديره حتى صلصلت كائنة لوقت فيكون الجار والمجرور في موضع الحال ويكون معنى الكلام انه اصلدها حتى يبست وجفت معدة لوقت معلوم فنفخ حينئذ روحه فيها ويمكن ان يكون اللام متعلقة بقوله فجبل اي جبل وخلق من الارض هذه الجثة لوقت اي لاجل وقت معلوم وهو يوم القيمة ومنها ان يقال لماذا قال من حزن الارض وسهلها وعذبها وسبخها والجواب ان المراد من ذلك ان يكون الانسان مركبا من طبائع مختلفة وفيه استعداد للخير والشر والحسن والقبح ومنها ان يقال لماذا اخر نفخ الروح في جثة ادم مدة طويلة فقد قيل انه بقي طينا تشاهده الملائكة اربعين سنة ولا يعلمون ما المراد به والجواب يجوز ان يكون في ذلك لطف للملائكة لانهم تذهب ظنونهم في ذلك كل مذهب فصار كانزال المتشابهات الذي يحصل به رياضة الاذهان وتخريجها وفي ضمن ذلك يكون اللطف ويجوز ان يكون في اخبار ذرية ادم بهذا فيما بعد لطف لهم ولا يجوز اخبارهم بذلك الا اذا كان المخبر عنه حقا ومنها ان يقال ما المعنى بقوله ثم نفخ فيها من روحه والجواب ان النفس لما كانت جوهرا مجردا لا متحيزة ولا حالة في المتحيز حسن لذلك نسبتها الى الباري عز اسمه لانها اقرب الى الانتساب اليه من الجسمانيات ويمكن ايضا ان يكون تشريفها باضافتها اليه كما يقال بيت الله الكعبة واما النفخ فعبارة عن افاضة النفس على الجسد ولما كان نفخ الريح في الوعاء عبارة عن ادخال الريح الى جوفه وكان الاحياء عبارة عن افاضة النفس على الجسد ويستلزم ذلك حلول القوى والارواح في الجثة باطنا وظاهرا سمي بذلك نفخا مجازا ومنها ان يقال ما معنى قوله معجونا بطينة الالوان المختلفة والجواب انه عم قد فسر ذلك بقوله من الحر والبرد والبلة والجمود يعني الرطوبة واليبوسة ومراده بذلك المزاج الذي هو كيفية واحدة حاصلة من كيفيات مختلفة قد انكسر بعضها ببعض وقوله معجونا صفة انسان والالوان